مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية	المجلد 06/ العـــدد: 02(2022)، ص ص 167-1801

قراءة سيميو أنثروبولوجية للبنية النسقية للعمران التقليدي الأمازيغي

A semio-anthropological reading of the scholastic structure of traditional Amazigh urbanism

وردية راشدي *	عبد النور بوصابة
جامعة يحي فارس المدية(الجزائر)	جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)
ouerdiar5@gmail.com	abdenour.boussaba@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/24 تاريخ القبول: 25/.05/.2022

الملخص:

ذكر "**إدوارد هال**" في كتابه:" **البنية الغائبة**" أن العمران نص سيميائي هام في كل دراسة وتحليل سيميو أنثروبولوجي، على اعتباره يسمح بفهم خصوصية المجتمع الإنساني. لكن فهم دلالة هذا الأخير تستدعي التوظيف المنهجي لمقاربة سيميولوجية خاصة بهذا النسق، وهي المقاربة التي ترتكز أساسا على استنطاق المستوى التضميني للفضاء المسكون والذي يمكن اعتباره نصا سيميولوجيا وأنثروبولوجيا على حد السواء ويستحضر هذا الأخير الهوية الثقافية المشكلة عبر مختلف أنماط التفاعلات الإنسانية وعلاقة هذه الأخيرة بالفضاء السيميائي المؤطر لها.

من أجل ذلك، حاولنا عبر هذه الورقة البحثية تحليل العمران الأمازيغي في منطقة القبائل من أجل تفكيك الرموز والشفرات المشكلة لهذا النسق السيميولوجي، وقمنا بتحديد الأبعاد الضمنية العميقة له من خلال تفسير علاقتها بفضائها السيميائي، وسمح لنا كل هذا بتوضيح القيمة الرمزية، الثقافية والأنثروبولوجية لكل نص عمراني الشيء الذي جعلنا نؤكد على كونه نسق وظيفي اتصالي سيمنطيقي بامتياز.

الكلمات المفتاحية: النسق العمراني، السيميوأنثروبولوجيا، الفضاء السيميائي، الهوية الثقافية، النظام الاجتماعي.

Abstract:

Edward Hall stated in his book: "The Absent Structure" that urbanization is an important semiotic text in every semio-anthropological study and analysis, as it allows understanding the specificity of human society. But understanding the significance of the latter calls for the systematic use of a semiological approach specific to this system, an approach that is based mainly on an investigation of the implicit level of inhabited space, which can be considered a semiological and anthropological text alike, and the latter evokes the cultural identity formed through various types of human interactions and the relationship of the latter to semiotic space framed her.

For that, we tried through this research paper to analyze the Amazigh urbanization in the Kabylie region in order to decipher the symbols and ciphers that formed this semiological system, and we identified the deep implicit dimensions of it by interpreting its relationship to its semiotic space, and all this allowed us to clarify the symbolic, cultural and anthropological value of each text. Urbanism, the thing that made us emphasize that it is a symmetrical communicative functional system par excellence.

Keywords: urban pattern, semiotic anthropology, semiotic space, cultural identity, social system

1. مقدمة:

* **المؤلف المرسل**

يتضمن العمران سيمياءه الخاصة التي تندرج ضمن سيميولوجيا الفضاء ومن شأن هذه السيمياء أن تسلط الضوء على فكرة أساسية تتمثل في قدرة النسق العمراني على التضمين والإحالة إلى رمزية المجتمعات من خلال استنطاق رمزيتها السوسيوثقافية، فالعمران من هذا المنظور خطاب سيميائي دال، ناهيك عن كونه نموذجا من نماذج الكتابة عبر الصخور والأحجار لتكون بتناسقها الدلالي فضاء انسانيا دالا يكشف خصوصية الإنسان وأنماط تفاعلاته اليومية مع الفضاءات التي يعيش ويتفاعل فيها.

من هذا المنطلق، واستنادا على هذه القاعدة السيميائية، يمكن لنا أن نعتبر العمران القبائلي نصا سيميائيا دالا، تكشف بناه الضمنية عن العديد من العناصر المعنوية المادية والرمزية الوثيقة الصلة بعمق الثقافة الشعبية القبائلية بكل محتوياتها ومعانيها.

يسمح لنا هذا بتصنيف العمران القبائلي ضمن أهم تمثلات هذه الثقافة ، فهو صورة إيقونية ثقافية تحيل إلى المجتمع القبائلي كمرجع أصلي تمثله ،وتكشف عن هويته وخصوصيته الثقافية والاجتماعية، أكثر من ذلك، يستحضر هذا النص الثقافي بأبعاده البصرية والضمنية العميقة معاني كثيره، تتولد عن العديد من الخصائص السيميائية الوثيقة الصلة بهذا النسق، فهو بجماليته الخاصة، وأنماط تقسيم الفضاءات الفرعية يتضمن معان ضمنية مرتبطة بالوعاء الرمزي للثقافة الأمازيغية بكل معطياتها التاريخية، السياسية ، الدينية الاجتماعية والثقافية، وتتفاعل هذه المضامين مع عناصر أخرى خاصة بهذا النسق السيميائي، ويتعلق الأمر بتوزيع الفضاءات الفرعية، الاستعمال الوظيفي والرمزي لها، وعلاقتها بالأدوار الاجتماعية والممارسات المختلفة لتنتج عنها سيرورة سيميائية خاصة بتدفق المعاني، وهنا، يتحول العمران القبائلي إلى نص سيميائي مفعل بامتياز، يسمح استنطاقه وتأويله بفهم الخصوصية المرتبطة بالمجتمع القبائلي وسره القدسي.

كل هذا وغيره، سنحاول استنطاقه وإبرازه من هذه الورقة البحثية، والتي من خلالها سنسلط الضوء على الخصوصية الأنتروبولوجية لمختلف العناصر المشكلة للأنساق العمرانية التقليدية في منطقة القبائل بالجزائر، لا سيما وأنها تشكل الوجه المادي والرمزي للثقافة على حد السواء، وسنوضح في الوقت ذاته العمق الدلالي لهذه الأنساق من خلال التحليل المعمق لكل عنصر من عناصره، وتفكيك تشفيره وربطه بالوعاء الرمزي للثقافة الأمازيغية.

2-مكانة العمران في المجتمع التقليدي الأمازيغي:

يشكل العمران نسقا ثقافيا متكاملا، يستحضر برمزيته الثقافة الشعبية للمجتمع وخصوصيته بكل أبعادها ومعانيها، فهو الشاهد على التنوع الثقافي للمجتمع، نستقرئ من شكله وجماليته والعناصر المشكلة له والتوظيف الدلالي لمختلف عناصره نمط حياة الأفراد وتفاعلهم الخاص مع الفضاء السيميائي الذي يحتضن بنيته الدلالية، وتتحول بفعل التداول والممارسة إلى تراث ثقافي ذي أبعاد رمزية عميقة تتوارثها الأجيال، فتضفي لها دلالات خاصة ناتجة عن خصوصية التفاعل مع هذه البنية، ووصل الحد إلى اعتباره صورة ثقافية ذات أبعاد رمزية وإيقونية، توحي ببلاغتها الخاصة إلى خصوصية الماضي بكل معطياته، وتفاعل العلامات المشكلة لهذا الأخير مع معطيات التغير الاجتماعي والثقافي.

والحديث عن مكانة النسيج العمراني في المجتمع القبائلي، وبالتحديد في التراث الشعبي للمجتمع يعود بنا إلى الوعاء الثقافي المحتضن لهذا النسيج الدلالي، وباعتبار أن النظام الاجتماعي مولد أساسي للرمزية الثقافية، فإن تحديد مكانة العمران في هذا المجتمع يقتضي منا العودة إلى خصوصية المجتمع ككل وفي هذه النقطة بالذات، يمكن القول أن المجتمع القبائلي يمثل سياقا ومضمونا ثقافيا يحظى بأهمية بالغة على العديد من النواحي والأصعدة، ولعل أبرزها الموقع الجغرافي الهام لمنطقة القبائل والذي تحظى به في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث تتبوأ شمال المنطقة، وتجمع في جغرافيتها العديد من خصوصيات النسق الجغرافي الذي يجمع بين جبال الأطلس التلي المشهورة بغطائها النباتي الكثيف، وخصوصيتها الجمالية المترجمة لهوية المنطقة، وثقافتها وتقديسها الخاص لمثل هذا النوع من التضاريس، لما تتضمنه من معطيات وأبعاد تاريخية، ثقافية، عقائدية وتاريخية، مع العلم أن هذا البعد أثر على طبيعة العمران من خلال المادة المستعملة في البناء أبعادها الرمزية، وعلاقتها بالممارسة الاجتماعية والاقتصادية المتداولة.

وفي هذه النقطة بالذات، يمكن أن نستحضر ما أشار إليه:" **بيير بورديو**" في العديد من كتاباته حول سوسيولوجيا المنطقة والمتمثل في أن الوعاء الثقافي الرمزي المقدس قد طغى على مختلف أنماط الحياة الاجتماعية بما في ذلك النسق العمراني، فمن خلال شكله وعناصره وتوظيفه الدلالي نستقرئ العديد من المعاني المتمثلة في البساطة، تداولية الفلاحة كنمط أساسي للعيش بالإضافة إلى الرابطة الاجتماعية القوية المبنية على التضامن العضوي والتعايش المشترك، المميز لانتماء للعلاقات الاجتماعية في هذا الفضاء.

وفي هذا الصدد، يحتك الإدراك الحسي مع بنية بصرية مترابطة ومتكاملة ومتلاحمة تحدد الانتماء واللحمة الاجتماعية المتجهة نحو الجبال للاحتماء بها وبقدسيتها الوثيقة الصلة بما هو تاريخي وعقائدي، حيث تصنف الجبال الصخور ضمن العناصر المقدسة في المخيال الاجتماعي القبائلي، إذ تسكن فيها الأرواح المقدسة والقوى الحارسة، إلى حد اتخذت إبان الاستعمارات المتعاقبة على المنطقة مركزا للدفاع والحماية، مع العلم أن البنية البصرية المحددة للمنازل المتداخلة والمتلاحمة تضمن استراتيجية اجتماعية وثقافية، يتحدد مغزاها الأساسي في إعطاء صورة عن الرابطة الاجتماعية القوية المقاومة لأي خطر مهدد للهوية والثقافة واللحمة الاجتماعية ، وفي هذه النقطة بالذات، يمكن استحضار العرف القبائلي الذي يمنع البناء خارج النسق الجغرافي للقرية حفاظا على اللحمة والترابط الاجتماعي. ويمكن أن نستشف ذلك من خلال الصورة التالية:

شكل رقم 01 تبينان التناسق العمراني في منطقة القبائل

المصدر: **https://www.google.dz/search?q=la++construction+de+la+maison+kabyle**

3- عناصر النسق العمراني القبائلي وأبعادها الدلالية

قبل الإشارة إلى سيميولوجيا العمران القبائلي ورمزيته لا بد من الوقوف عند نقطة أساسية أشار إليها "رولان بارث "في شأن سيميولوجيا العمران، ويتعلق الأمر بكون العمران خطاب سيميائي دال، وهو في ذات الوقت نموذج من نماذج الكتابة عبر الصخور والأحجار لتكون بتناسقها الدلالي فضاء انسانيا دالا يكشف عن وظائف الرموز في الفضاء وتفاعلاتها الدلالية (Barthes, 1985, pp. 261-263).

من هذا المنطلق، واستنادا على هذه القاعدة السيميائية، يمكن لنا أن نعتبر العمران القبائلي نصا سيميائيا دالا أو بالأحرى نمطا من أنماط الخطابات السيميائية التي تتشكل عبر تناسق جملة من النصوص لتكون بتفاعلها وتناسقها نظاما سيميائيا ذا طبيعة خاصة، تكشف بناه الضمنية عن العديد من العناصر المعنوية، المادية والرمزية الوثيقة الصلة بعمق الثقافة الشعبية القبائلية.

يسمح لنا هذا بتصنيف العمران القبائلي ضمن أهم تمثلات الثقافة الشعبية القبائلية، والسبب في هذا يعود إلى كونه صورة إيقونية ثقافية تحيل إلى المرجع الذي تمثله وتكشف عن هويته بمجرد الاحتكاك البصري مع الدوال المرئية في النسق العمراني القبائلي ما من شأنه أن يؤكد ما ركز عليه "رولان بارث" في هذا المجال حيث قال أن: **"العمران خطاب للحضارة والثقافة"**(Barthes, 1985) ، ولا يمكن إلا أن يكون مجموعة من العلامات والرموز الدالة. من جهة أخرى، تسمح سيميولوجيا العمران بمعالجة هذا النص السيميائي من خلال استقراء عدة مستويات، يتعلق المستوى الأول بالأدوات المستعملة في تشييد هذا العمران، ويرتبط المستوى الثاني بمحور الاستعمال الوظيفي للنسق المعماري وهنا تتعدد الوظائف وتتنوع تبعا لطابعها الذي تنطوي عليه كما يمكن مقاربة المعمار من خلال الشكل، ما يجعلنا نرجع الألوان والأشكال والرموز إلى أبعادها الثقافية الرمزية. (Xinmu, 2009, p. 208)

لو طبقنا هذه المقاربة السيميائية على النسق المعماري القبائلي، ألفينا العديد من العناصر الرمزية الوثيقة الصلة بالعمق الثقافي لهذا الأخير حيث يتميز المسكن التقليدي بنظام خاص، ذو دلالات و مزايا خاصة و رموز تحمل العديد من المعاني، التي يمكن إجمالها في البساطة في نمط العيش واعتماد الفلاحة قاعدة أساسية في الانتاج، حيث تكشف البنية الظاهرية للمنازل القبائلية عن اعتماد الصخور والتربة والقراميد القديمة دعائم أساسية في البناء ما من شأنه أن يدعم فكرة البساطة من جهة ويؤكد على سيطرة القيم المعنوية والرمزية على المجتمع لدرجة لا يهتم فيها الإنسان القبائلي بتطوير نمط معماره بالقدر الذي يحاول على تدعيم أسسه والبقاء عليها، إيمانا منه بسيره على خطى تؤكد أصالته والتزامه بقيمه الاجتماعية التي تبقى على الدوام عقدا اجتماعيا يجمعه بأفراد قريته، فهذا الشكل، نفسه منذ مدة زمنية بعيدة ما من شأنه أن يكشف عن تواجد وتيرة بطيئة جدا في التغيير البنيوي داخل الثقافة الشعبية القبائلية، لا سيما النمط المعماري .

هذا، ويكشف الشكل المعماري الخارجي عن بنية العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص والتي تقوم على مبدأ التعايش والتضامن العضوي، يمكن استقراء هذا من خلال التأويل الضمني للصورة البصرية التي تكشف تلاحم البيوت، وتشابه بنيانها وتقاربها لحد تتلاصق بعضها مع بعض لتشكل نظاما بنائيا كاملا ومنسجما.

هذا عن البنية الظاهرية للعمران القبائلي، أما فيما هو متعلق بالبنية الداخلية لهذا النسق السيميائي، فيمكن القول أن أول ما يمكن تسجيله في هذا الشأن الشكل المستطيل الذي يكون عليه المسكن التقليدي القبائلي في الغالب، وصغر مساحته، حيث تتراوح مقاييسه

بين سبعة أمتار طولا وأربعة أمتار و نصف عرضا، أما ارتفاعه، فقد يصل إلى ثلاثة أمتار (Genevois, 1962, p. 09)،ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط التالي:

شكل رقم 02 يوضح تصميم المنزل التقليدي القبائلي

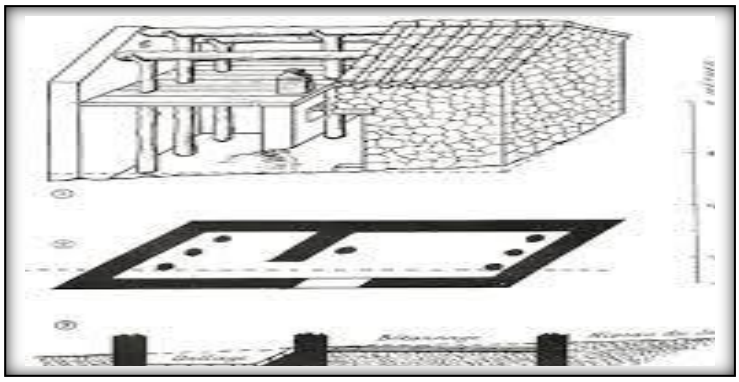

La source : https://www.reservall.com/blog/article/la-maison-traditionnelle-kabyle consulté le 19/08/2021 à 15h

ينقسم المسكن التقليدي القبائلي إلى ثلاث فضاءات أساسية تتواءم مع ثلاث عناصر وثيقة الصلة بينها تتمثل هذه الفضاءات في tasga المخصصة للأفراد، adaynin المخصص للحيوانات وtakanna أوta3rict التي تستعمل لحفظ المؤونة (Khallil, 1979, p. 46)،من شأن هذا التقسيم أن يعطي العديد من المعاني الدلالية الوثيقة الصلة بالثقافة الشعبية القبائلية، ويتعلق الأمر بتقديس الحيوانات واعتبارها جزء لا يتجزأ من حياة الأفراد، لحد جعلها تتقاسم المنزل مع الأفراد ويخصص لها فضاء خاص في نفس المجال الذي ينشط فيه هؤلاء، نفس الشيء فيما هو متعلق بالمؤونة التي تخزن في فضاء خاص لها يسمى takhanna المعروفة بارتفاعها، ولهذا رمزيته الخاصة في هذه الثقافة تدور معانيها الدلالية في تقديس الغذاء وجعله أسمى النعم وأكثرها بركة وخيرا لحد رفعها عن المجال الذي يتواجد فيه الأفراد، ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط التالي:

شكل رقم 03 يبين التقسيم الداخلي للمنزل التقليدي القبائلي

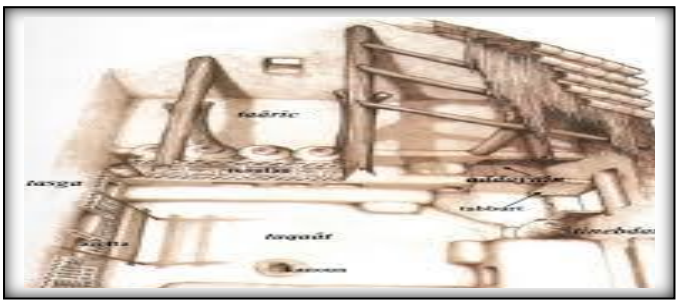

La source : https://www.reservall.com/blog/article/la-maison-traditionnelle-kabyle consulté le 19/08/2021 à 15h

4-البعد الوظيفي لعناصر البنية النسقية للعمران التقليدي القبائلي:

يسمح هذا التقسيم الوظيفي بإعطاء علامات دالة تؤكد ما انطلق منه Roland Barthes في شأن سيميولوجيا العمران، ويتعلق الأمر بكون هذه الأخيرة العلم الذي يسمح بالكشف عن مدى التناسق بين شكل العمران والوظيفة التي صمم من أجلها، وهي الفكرة التي يمكن أن نجد لها تجسيدا في التقسيم الداخلي للمنزل التقليدي القبائلي، حيث أن لكل مجال وظيفته الخاصة به، وهذه الوظيفة تتطابق مع الحدود الظاهرية لهذا المجال وبنيته المورفولوجية الخاصة به (Barthes, 1985, p. 264)..

يمكن أن نستشف هذا من خلال التعمق في شكل الفضاءات الخاصة بالمنزل التقليدي القبائلي، وهنا، نجد أن "أدينين " يقع في الجهة السفلية للبيت، وهو المجال الذي يقسم إلى: " **لَمْدَاوَذْ** " "**lemdawed** "يكون في الغالب على شكل مربع، وفيه يتم وضع الأكل للحيوانات، وينطوي هذا الأخير على دلالات سلبية توحي في الغالب إلى الدونية وكل التمثلات السلبية المستحضرة من رمزية الحيوان، وطبيعة الفضاء في حد ذاته، على اعتباره فضاء مخصصا للحيوان.

نفسها الفكرة التي يمكن لنا استخلاصها من الفضاء الخاص بالإنسان، حيث نجده ينقسم بدوره إلى قسمين " ثاقاعات " "taqa3et "ثغرغرث" و " ثاعريشت " " ta3rict "، في القسم الأول تقام كل النشاطات منها: " النسج " " azetta "، " الطبخ " " aseggi " أو " aseri "، " الأكل " utchi "، " النوم " " ides "، يكون في الغالب المكان المخصص لـ"أزطَا" "المنسج" مقابلا للباب، حيث يتوفر على الضوء الذي تحتاجه المرأة في عملية النسج، يكون الباب في المسكن التقليدي مفتوحا شتاء و صيفا، ولا يغلق إلا في الليل، وتعود رمزية ذلك إلى ما يكشف عنه التراث الشفوي الشعبي القبائلي حيث يقال في الأمثال الشعبية (بورى يمينة عضو ثاجماعث نلخلاث في قرية أيت سملال ، 2018):

افتح الباب يرانا الإله "lli d tawwurt ad agh d iwali rebbi"

أو افتح الباب يدخل

الخير"lli d tawwurt ad d yekcem lxir ".

يتحدد السبب الأساسي في فتح الباب في النهار في دخول الضوء والقضاء على الرطوبة، وبعث الحركية والنشاط في أفراده، بينما يغلق هذا الأخير في الليل وذلك تفاديا للأخطار والمصائب التي تدل عليها هذه الفترة، حيث يقال في المعتقد الشعبي القبائلي أنها فترة نشاط المخلوقات الشريرة، التي تغتنم فرصة نوم السكان للقيام بنشاطاتها السيئة.

وبما أن لكل طقس أسطورته الخاصة التي تخلد رمزيته ودلالته، فإن لهذا السلوك الطقسي حكايته الأسطورية التي دونت مغزاه في المخيال الاجتماعي للثقافة الشعبية القبائلية، يدور مغزى هذه الأسطورة في فضاء رمزي واحد يتمثل في أن لغلق الباب حكمته الأساسية التي تتمثل في دفع الضرر عن سكان المنزل والذي يمكن أن تجلبه الشخصيات الأسطورية السيئة: " **tteryel** "، " **waghzen** " " **lef3a m seb3a iqerray** ".

لذلك تروي حكاية أسطورية شعبية قبائلية أنه في بيت جبلي، كانت هناك أسرة تتكون من الأب وبناته وتعيش هذه الأسرة على النسج الذي يتفنّن في إعداده ليبيع الأب ما تم التفنن فيه وكان في الغالب يتنقل ليلا لإتمام هذه العملية، ذات يوم ذهب الأب كعادته للتجوال ليلا، ونسيت بناته نصيحته المتمثلة في غلق الباب فاغتنمت " tteryel " الفرصة للدخول ومحاولة إلحاق الضرر بالفتيات...

وهنا لا بد من الذكر انه على الرغم من بقاء باب المنزل مفتوحا طوال النهار إلا أنه لا يحق لأي شخص الدخول إليها، دون استئذان، وتعتبر من سلسلة القيم والمبادئ الشعبية التي لابد من الالتزام بها.

يوجد فوق " أدينين " " adaynin "" ta3rict " أو " takanna " تحدد هذه الأخيرة في كونها غرفة مرتفعة مصنوعة بواسطة قطع من الخشب، تم إخفاؤها بواسطة " ikufan "، الموضوعة فوق" tadekent " أو ما يسمى بـ "adabbar "بعض الأسر القبائلية ترقد فيها في فصل الشتاء[2]، ولهذا الفضاء رمزيته الخاصة، وقدسيته المميزة حيث، تتحدد هذه القدسية في أنه لا يمكن لأي كان أن يصعد إليه، ولا يفعل هذا إلا المرأة المسنة في المنزل "tamghart n waxxam"أو إحدى بناتها أو كنتها التي تثق فيها. يعود السبب في هذا إلى كونه فضاء خاصا بالمؤونة، ومن ثم يجب الحفاظ على هذا الفضاء من الدنس الذي يمكن أن يجلب غضب الأرواح المقدسة التي تحرس هذا الخير كما أنه فضاء خاص بالمرأة المسنة من خلاله يتبين تحكمها وتدبيرها لشؤون المنزل وبذلك يكون التعدي عليه تقليل من احترامها وتعدي على مكانتها الاجتماعية في الأسرة القبائلية (Laoust-Chantréaux, 1990, p. 86).

نجد في الجزء المسمى ب " taqa3et" و المقابل لأدينين، جدارا مرتفعا نوعا ما، يسمى ب " adekkan " تتحدد دلالته الاستعمالية في كونه الجزء الذي عليه يتم وضع أواني المطبخ و مختلف العناصر التي يتم جلبها من الحقول أو السوق، إضافة إلى المصباح التقليدي المسمى" taftilt " أو " llamba ،في المحيط الموازي لهذا الجناح نجد ما يسمى ب " سرير " "ssrir "الذي يتحدد وظيفته الاستعمالية من اسمه، على اعتباره الفضاء المخصص للنوم(Laoust-Chantréaux, 1990) .

للتعمق أكثر في عناصر العمران التقليدي القبائلي ووظائف كل عنصر من هذه العناصر سنحاول تلخيصها فيما يلي:

4-1- "taqa3et " أو " aguns " " ثاقاعات " tigherghert :

تتحدد في الجهة المخصصة للأفراد، وتدور فيها كل الوظائف والحوادث المهمة في حياتهم مثل: الولادة، الأكل، النوم، تقع في الجهة العليا للمسكن، مقابلة لأدينين في منتصفها، على جهة Ssrir، نجد فيها الكانون الذي هو عبارة عن حفرة متوسطة العمق، يتم فيها إشعال النار للتدفئة في فصل الشتاء وطهي مختلف أصناف المأكولات.

وبما أن العلامة السيميائية في بادئها عنصرا ماديا له أبعاده البصرية الخاصة، ويستقي معالمه الدلالية الرمزية من عمق التجربة الاجتماعية التي قال عنها **مالينوفسكي** أنها تتحول إلى موضوع محسوس تختلط الرؤية فيه بأبعاد وثيقة الصلة بالبيئة الاجتماعية للفرد، فإن لكل عنصر مرئي دلالاته الرمزية التي تشكلت عبر الزمن من خلال البعد الوظيفي التداولي ونمط أداء الأفراد لهذه الوظيفة (Sonesson, /le 10/07/2011)، يدفعنا هذا إلى القول أن للكانون رمزيته الخاصة في الثقافة الشعبية القبائلية تتحدد أبعادها الدلالية في علاقته الوطيدة بالمعتقد الشعبي القبائلي ،فهو مكان رمزي خاص يحظى بالتقديس على اعتباره منبعا للحرارة تسمح له خاصيته هذه بتوطيد الاتصال والتفاعل ما بين أفراد الأسرة، ومن حوله يجتمع الأفراد لمناقشة مختلف المشاكل والقضايا المتعلقة بالحياة اليومية الصعبة (سناسل لونيس ، عضو مجلس الرجال ثاجماعث بقرية أيت سملال ، 25 سبتمبر 2018).

أكثر من ذلك، تبلغ رمزية الكانون وقدسيته إلى اعتباره جوهر هذا البيت و مبعث الحياة فيه، عليه توقف استمرار صمود هذا الأخير وهي الفكرة التي تفسر الاعتقاد الشعبي القبائلي الذي يفيد بأن البيت الذي لا يشعل فيه الكانون معرض للانهيار و ذلك بسب الرطوبة

لهذا يشعل الكانون ليتم القضاء عليها بفعل الحرارة المنبعثة و يقال أيضا أن المنزل الذي لا يفتح أبوابه و لا ينظف، و لا يشعل فيه الكانون يحزن و يتساقط بفعل الحزن على تناسيه (سناسل لونيس ، عضو مجلس الرجال ثاجماعث بقرية أيت سملال ، 25 سبتمبر 2018).

تبلغ درجة القدسية لهذا العنصر إلى الالتزام بأسس وقواعد خاصة أثناء الجلوس حوالي الكانون يمكن اعتبار هذه الأسس والقواعد علامات سيميائية تسمح دلالاتها الضمنية بالكشف عن الوضعية الاجتماعية للأسرة القبائلية وكذا المكانة التي يحتلها كل من الرجل والمرأة في المجتمع. ومن بين هذه الشروط والأسس نجد:

- **لكل فرد من أفراد الأسرة مكان خاص في الكانون، وتمنح الأولوية للرجال والشيوخ الذين يقدسون في هذه الأسرة ويميزون عن بقية الأفراد.**
- **لا يحق للمرأة الشابة والفتيات الجلوس حول الكانون في حضور الرجل وعدم الالتزام بهذا الطقس يعرضهن لعقوبة قد تصل حدتها إلى الطلاق، وذلك لسببين أساسيين يتمثلان في طبيعة العلاقات في المجتمع الأمازيغي " السيطرة الذكورية " والحفاظ على جمال المرأة من النار والدخان، لا سيما الفتيات غير متزوجات.**
- **للعجوز tamghart مكان خاص ومقدس حول الكانون، يتم تبيينه بجلد خاص بالخروف أين تجلس على كرسي صغير تقليدي يسمى ب " tadeggirt " أي " تذڤيرت "، ولا يجب الجلوس عليها في غيابها لأن فعل ذلك له صيغة تشاؤمية وهي الرغبة في رحيلها عن المنزل، حيث يقال في الثقافة الشعبية الأمازيغية (Genevois، 1962):**

axxam idg ulac tamghart المنزل الذي لا توجد فيه العجوز

am yiger melba tadekkart مثل الحقل من دون شجر التين_ الذكر

يتحدد وجه الشبه في أنه، ومثلما تقوم العجوز بتسيير شؤون المنزل، وتدبير أموره، كذلك تقوم شجر التين "الذكر" "tadekkart "بتلقيح مختلف أصناف أشجار التين المتواجدة في الحقل، وهي بذلك مبعث الحياة وغالبا ما تجلس المرأة العجوز في هذا المكان أثناء سردها للحكايات الشعبية.

هناك قواعد خاصة بالجلوس حوالي الكانون، والتي لابد على المرأة الأمازيغية من اتباعها، من هذه القواعد نجد:

- **غض النظر عن الرجل لا سيما إذا كان أخ الزوج أو الشيخ.**
- **تفادي بسط الرجلين أو تحريكهما باستمرار أو لمس الكانون أو الأغصان المتواجدة فيه " tiqecrin " أو الأداة الحديدية المستعملة لتفتيت الأغصان:" aseffud".**
- **التزام الصمت والحديث بصوت منخفض وتفادي الضحك مهما كانت الأسباب.**
- **فعل ذلك مخالفة تعادل درجتها منزلة ارتكاب الفاحشة وعدم الالتزام بالشرف.**

وكل هذه الأسس تنبثق من جدلية الصراع بين المرأة والرجل وسيطرة الرجل على المرأة في المجتمع القبائلي.

شكل رقم 04 تبين التقسيم الداخلي للمنزل التقليدي القبائلي.

La source :

https://www.reservall.com/blog/article/la-maison-traditionnelle-kabyle consulté le 19/08/2021 à 15h

adaynin-2-4 أدينين:

يعرف بكونه مجال مخصص للحيوانات، يوجد في قاع " تعريشت " يتكون من مربعات صغيرة تحتل ثلث المستطيل الأصلي تسمى هذه المربعات ب " tikwatin "، وتنام فيه الحيوانات كالماعز الخرفان، البقر الثيران، ولا يجب وضع الحمار فيه بسب دلالته و رمزيته السلبية، حيث يقال في الثقافة الشعبية الأمازيغية أن الحمار حيوان ذو دلالة سيئة تتمثل في المكر، أكثر من ذلك، يعتقد أنه عند صراخه في الليل يرى القوى و الأرواح الشريرة التي تتواجد باستمرار في المكان الذي يتواجد فيه، مقابل ذلك تحمل بقية الحيوانات دلالة إيجابية، تتحدد في كونها مصدرا للعيش كما أنها تساعد على تدفئة الجو خاصة في فصل الشتاء، بفعل تنفسها الذي يزيد المنزل دفئا لا سيما أثناء إطفاء الكانون (Genevois، 1962).

وبما أن سيميولوجيا العمران تعمد على التحليل السيميائي للنسق المعماري باعتباره نصا له طبيعته الخاصة على اعتباره نصا مسكونا فإن مفردات هذا النص ماهي إلا علامات و سلوكات فردية نابعة من الثقافة الخاصة بالفضاء الذي يتواجد فيه النص المعماري، تتشكل أبعاده الرمزية من اتحاد الدوال التي تشكله، والتي تكون فيما بينها علاقات وتفاعلات من شأنها أن تولد دلالات جديدة مرتبطة في تناسقها الرمزي بعناصر هذه الثقافة وبعدها العقائدي (Giorgetti, 2006) لو طبقنا قاعدة التحليل النصي للنسق المعماري على المنزل التقليدي القبائلي ألفينا أن أدينين مفردة من مفردات هذا النص، له وظيفته الاستعمالية الوثيقة الصلة بالبعد التداولي لهذا الفضاء، وله في نفس الوقت أبعادا رمزية تكتسي حلتها الدلالية من عمق المعتقد الشعبي القبائلي.

ويسمح لنا هذا بالقول إن " أدينين " ينطوي على دلالة سيئة_ سلبية_ في الثقافة الشعبية القبائلية تتمثل هذه الأخيرة في كونه أدنى الأماكن منزلة، وأقلها قيمة، فهو مكان الحيوانات، لا تواجد للأفراد فيه، وترادف دلالته الحضيض وأدنى درجات الذل والمهانة ولا أدل على ذلك من التوظيف الرمزي له في التراث الشفوي القبائلي، إذ عن طريقه تصف المرأة معاناتها واحتقارها في هذا المجتمع بقولها (القبائل،، 03 أكتوبر 2018 ،):

Swigh qedran d lhentit شربت من كأس المرارة

ur rwigh talqimt zeddigen ولم أشبع من أكل نظيف

اعتبروني ضمن الأمواتhesben iyi d lmeyyet

لحد تكون فيه البقرة أرفع مني شأنtifiyi tfunast deg daynin

شكل رقم 05 تبين التقسيم الداخلي للمنزل التقليدي القبائلي.

https://www.reservall.com/blog/article/la-maison-traditionnelle-kabyle consulté le 19/08/2021 a 15h

3-4، Ta3rict: تعريشت أو takanna ثكنّة:

يعتبر الفضاء الثالث الذي ينطوي عليه المنزل التقليدي القبائلي توجد فوق " أدينين "، ولها نفس الأبعاد والمقاييس الخاصة به، بيد أنهما يختلفان في الارتفاع. تحمل" takanna " دلالة رمزية خاصة في الثقافة الشعبية الأمازيغية، و تتمثل في كونها مناقضة لدلالات " أدينين "فهي بذلك علامة من علامات الرفعة السمو و المكانة المقدسة، هي في نفس الوقت مكان لا تصعد إليه قدم أي كان، إذ تتواجد فيها كل أرزاق الأسرة و كنوزها و مواردها الغذائية، من هذا المنطلق، نجد أن العجوز وحدها تملك الحق في الصعود إليها، و فيها يتم تقديم المقاييس الخاصة بالطبخ مثل المقادير الخاصة بالدقيق، الملح، البطاطا، الحبوب، الزيت...و يمكن أن توكل إلى الكنة المتصفة بالأمانة و الثقة هذه المهمة، أو إلى أحد بناتها. (Dujardin, 1985, p. 55)

ولا ننسى في هذا الصدد ذكر ما يسمى ب " amnar" وهي عتبة يتم من خلالها الدخول إلى المنزل ويقال إنه لا يجب الدخول إلى المنزل بالرجل اليسرى تفاديا للأرواح السيئة والفأل السيئ، كما يكره الجلوس عليه، حيث أن هذا العمل لا يتم إلا في المناسبات السيئة الدلالة. يوجد أيضا ما يسمى adebdar أي: " أذبذار " الذي يتم به الصعود إلى " takanna " ويتميز بدلالة إيجابية تتمثل في كونه يعني السمو والرفعة والشرف، هنالك من المنازل من تضع عليه المخابئ المخصصة لجمع مختلف أصناف المؤونة.

من شأن هذه الدلالة أن تدعم أسس التحليل النصي للبنى السيميائية، والتي من خلالها يمكن اعتبار النص السميائي بنية من العلامات الدالة، أو الدوال السيميائية، تتحدد قيمة الدليل اللغوي من خلال التقابل الإيجابي والسلبي مع الدوال الأخرى التي تدخل معه في نفس النظام.(Gadet, 1996, p. 51)

شكل رقم 07صور تبين التقسيم الداخلي للمنزل التقليدي القبائلي

المصدر: **https://www.reservall.com/blog/article/la-maison-traditionnelle-kabyle à 11h**

5-العمران **التقليدي القبائلي نسق ثقافي مشفر بامتياز:**

الجدير بالذكر أننا نستطيع مقاربة النص المعماري من خلال الوظائف الرمزية التي ينطوي عليها، الشيء الذي يقودنا إلى تمييز وظائف رمزية اجتماعية لها قيم ثقافية خاصة تجعل من العمران حاملا للثقافة والإبداع الإنساني تسمح هذه المقاربة بتمييز ثلاث شفرات سيميائية مرتبطة بهذا النسق، ويتعلق الأمر ب (Xinmu، 2009):

- الشفرات الاجتماعية: les codes sociaux وتؤكد الهوية والمكانة الاجتماعية.
- الشفرات الثقافية les codes culturels: تكشف عن الهوية الثقافية للجماعة الاجتماعية.
- الشفرات الجمالية les codes esthétiques:تترجم الإرادة الإنسانية وحسها الجمالي.

تسمح لنا هذه المقاربة باستخلاص جملة من الملاحظات الناتجة عن تحليلنا للعمق السيميائي للمنزل التقليدي القبائلي، والتي منها نستطيع استخلاص شفرتين أساسيتين هما: "الاجتماعية والثقافية" حيث يتضمن المنزل التقليدي القبائلي العديد من المعاني الرمزية المرتبطة بالسياق السوسيوثقافي للمجتمع القبائلي ويدور مجالها الدلالي في (Khallil، 1979، صفحة 50):

أولا: يرتبط كل فضاء بمعاني رمزية وثيقة الصلة بالمعتقد الشعبي القبائلي، حيث يقال إن هنالك أرواح حارسةi3essassen n uxxam التي تعمل على حماية المنزل وأصحابه من الأخطار المحدقة، ولتقديسها ولاستمالتها، لا بد على الأفراد من ممارسة العديد من الطقوس، وتتحدد هذه الأخيرة في:

- **تحية العناصر المقدسة كل صباح، وكل دخول أو خروج من المنزل.**
- **احترامها على الدوام، وإبراز هذا الاحترام من خلال ذكر اسمها وبركتها "le3naya n u3essas n uxxam "**
- **احترام حرمتها وتقديسها من خلال تفادي ذكر الكلام الفاحش في مجالها أو ممارسة السوء في نطاق هذا المجال.**
- **اعتبار هذه الأرواح من سكان المنزل الآخرين، ومن ثم احتساب وجودها في كل الأحوال ومنحها حقها من الأكل والشرب واللباس يفسر هذا طقس يناير حيث يوضع الغذاء فوق الأحجار الثلاثة حول الكانون وطقس تلبيس الطفل اللباس الجديد حيث لا يلبس هذا الأخير للطفل إلا بعد تمريره على هذه الأحجار.**

- **تفادي التصرفات المؤذية لها، حيث لا تشعل النار في الكانون في الفترات الجافة "الصيف" هذا، ويرتبط المنزل بالمرأة، أو الزوجة، حيث يبقى مجالها الروحي المطلق، تبدع فيه وتمارس تدبيرها وتنظيمها، هذا ما نجده في الغناء الشعبي القبائلي، إذ يقول سليمان عازم:a taqbaylit a tigejdit a tin ifi yebna uxxam .**
- **يرتبط المنزل القبائلي في نفس الوقت بالزواج والعائلة النووية حيث يقال في التراث الشفوي:" ad d xedmagh axxam" ليراد به النية في الزواج وتكوين أسرة.**

يحدد التقارب الجغرافي في النمط المعماري الوحدة الاجتماعية المتكتلة، وهي في ذات الوقت صورة من صور التضامن العضوي الذي يقوم عليه المجتمع القبائلي يمكن أن نستشف هذا من خلال نمط بناء المنازل حيث يتم هذا بصفة جماعية " ثيويزة" تشارك في هذه العملية جميع فئات المجتمع من دون تقاضي أجر على ذلك، بعد وضع الأساس الخاص بهذا المنزل، يتم ذبح خروف أو جدي أبيض و إسالة دمه في ذلك الأساس، تتحدد الدلالة السيميائية لهذا السلوك الطقسي في تعزيز مكانة ما يسمى "حارس المنزل"" a3essas n uxxam"و تثبيت أساس تلك الدار من خلال التماس ذلك من الصخور التي يبنى بها هذا الأساس، والتي يقال عنها أنها مسكونة من قبل قوى و أرواح مقدسة، يتم التقرب منها من خلال سقيها بالدم.

يتم دهن حيطان المنازل بواسطة الطوب المسمى ب " tumlilt "،و هي مهمة خاصة بالنساء من خلالها تطلق العنان لملكتها الإبداعية، وتناشد أحاسيسها وجوارحها مستعينة في هذا بالعديد من النماذج التزينية الخاصة بالمنزل التقليدي القبائلي، تسمى هذه العملية ب " aslagh d warqam n uxxam " أي " دهن و تزيين المنزل" ،تسمح هذه العملية بقراءة واحدة من الشفرات المذكورة آنفا، ويتعلق الأمر بالشفرة الجمالية، التي تؤكد في فحواها حقيقة كون العمران نمط من الكتابة من نوع خاص، يسمح للإنسان بوضع بصمته الخاصة في المحيط الذي يعيش فيه (Xinmu، 2009، صفحة 208).

بعد الانتهاء من بناء الدار، و قبل السكن فيها، هنالك طقس خاص لابد من استكماله، و يتمثل هذا الأخير في ذبح خروف أو جدي، أبيض اللون و إقامة عشاء خاص (كسكس) يأكل منه جميع أفراد القرية، تتحدد سيميائية هذا السلوك الطقسي من العناصر الطقسية التي توظف فيه، حيث أن الخروف الأبيض أضحية يراد التقرب من الأرواح الحارسة واستمالتها، ومن ثم طلب للعيش في سلام و أمان في ذلك المنزل، و ليعم الخير فيها و الذي يشير إليه الجدي أو الخروف الأبيض، حيث يحمل الأبيض دلالة ذلك و ينموا بعدد حبات الكسكس (M, 1982, p. 298).

شكل رقم 09 تبين التقسيم الداخلي للمنزل التقليدي القبائلي.

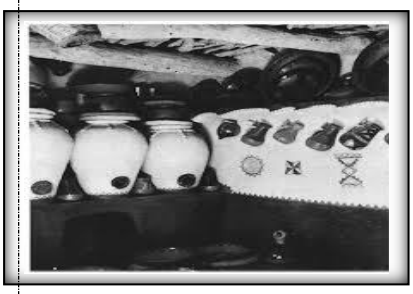

المصدر: https://www.reservall.com/blog/article/la-maison-traditionnelle-kabyle à 11 h

5–خاتمة:

هنالك العديد من الأسرار و الخبايا التي يخزنها هذا البيت المتواضع والتي تكشف في بعدها الضمني عن العديد من العناصر الوثيقة الصلة بالثقافة الشعبية القبائلية، فالبيت القبائلي رغم صغره وضيقه فضاء اتصالي من نوع خاص فقد أنشأ أجيالا و رجالا، و فق نظام رمزي وسلطة روحية تقوم على تقديس القيم العليا للمجتمع الأمازيغي ففي هذا البيت الصغير تسكن عائلة ممتدة تضم عددا من الأبناء و زوجاتهم و أبنائهم و يترأسها الجد و الجدة و يمكن أن نجد الأعمام من الجد و الجدة، الجد الأكبر، يسير هذا الأخير شؤون الأسرة ويدعمها ماديا و روحيا كما يفرض النظام فيها على اعتباره فهو السلطة الرمزية الممثلة للجماعة سلطته في هذه المهمة ليست مطلقة حيث تشاركه فيه ابنه الأكبر أو أخوه، دون نزاع، ومن شأن هذا التقسيم الوظيفي للأدوار الاجتماعية أن يؤكد قيمة اجتماعية مترسخة في عمق الثقافة الشعبية القبائلية، ويتعلق الأمر بكون السن المحدد الأساسي لمركز الأفراد و أدوارهم.

هذا، وينبغي أن نضيف نقطة أساسية تتمثل في أنه من العيب في القيم الأمازيغية المبادرة بالشقاق والدعوة إليه، حيث يتلقى المبادر بهذا السلوك دعاوي سيئة تعاكسه في حياته، ورغم الظروف القاسية، بقيت الأسرة القبائلية إلى حد بعيد ممتدة وتعيش وفق هذا النمط من خلال كل ما تم عرضه، نستطيع القول إن المعمار في الثقافة الشعبية الأمازيغية يتميز بالبساطة، ببساطة هذا المجتمع، لكنه يحمل في فحواه العديد من الرمزية الضاربة في أعماق قدسية طقوس المجتمع ومعتقداته.

6–قائمة المراجع:

Barthes, R. (1985). *L'aventure sémiologique.* Paris: edition du Seuil.

Boutenoucht M .(1982) .*la famille algérienne .* Algérie : SNE.

Camille Lacoste Dujardin .(1985) .*des mères contre les femmes .* Paris : La découverte.

Françoise Gadet .(1996) .*Saussure , une sciences de la langue .* Paris : Persse universitaire de France.

Gemaine Laoust-Chantréaux .(1990) .*kabylie coté femme , la vie féminine à Ait Hichem .*Paris : Edisud.

Goran Sonesson/) .le 10/07/2011, .(*la signification de l 'espace dans la sémiotique écologique .* http://fr.whttp://www.alarabonline.org./

H Genevois .(1962) .*l'habitation kabyle .* Algérie : FDB Fort national.

J Muntanola THORNBERG traduit par Clothilde Giorgetti .(2006) .*le projet architectural comme rencontre chronotopique , hommage à Paul Ricoeur .* Barcelone : Barcelone.

Mouhand Khallil .(1979) .*L'exil kabyle .*Paris : Harmattan.

Zhang Xinmu .(2009) .approche sémiologique de l'architecture .*Synergies Chine N 04*.(04)

بورى يمينة عضو ثاجماعث نلخلاث في قرية أيت سملال . (2018). *مقابلة شفهية تم إجراؤها يوم 05 أكتوبر 2018.* بوزقن .

سناسل لونيس ، عضو مجلس الرجال ثاجماعث بقرية أيت سملال . (25 سبتمبر 2018). *مقابلة حول المنزل التقليدي القبائلي .* بوزقن : مجلس القرية بأيت سملال ، بلدية بوزقن ، ولاية تيزي وزو .

مقابلة مع السيدة ياسة فطيمة، شاعرة مسنة تردد في منطقة القبائل،. (03 أكتوبر 2018 ،). *مقابلة شفهية حول رمزية المنزل التقليدي القبائلي .* قرية إحيطوسن، بلدية بوزقن، ولاية تيزي وزو،: مقابلة تم إجراؤها بتاريخ في منزل المستجوبة على الساعة الرابعة زوالا.

مقابلة مع السيدة ياسة فطيمة، شاعرة مسنة تردد في منطقة القبائل، قرية إحيطوسن، بلدية بوزقن، ولاية تيزي وزو، مقابلة تم إجراؤها بتاريخ 03 أكتوبر 2018 ، في منزل المستجوبة على الساعة الرابعة زوالا. (بلا تاريخ).